علم العربية لدى عبد الرحمن الحاج صالح

Ilm al-arabiyya at abderrahmane hadj salah

Ilm al-arabiyya chez abderrahmane hadj salah

بشير إبرير

جامعة باجي مختار عنابة

الملخص:

نتناول في هذا البحث، البعد العلمي المعرفي في اللسانيات العربية لدى عبد الرحمن الحاج صالح، فمعظم ما كتبه عنها، يتأسس على تضافر التخصصات بالجمع بين حقول معرفية عديدة، وبالانفتاح على تخصصات علمية تكنولوجية وطبية وحاسوبية وهندسة إلكترونية ورياضية في دراسة اللغة وفهم أسرارها. بالإضافة إلى الخلفية المعرفية المتعلقة "بعلم العربية" كما سمّاه سيبويه وأستاذه الخليل بن أحمد. ويتأسس أيضا على منظومة مفاهيمية، وجهاز اصطلاحي خاص به.

الكلمات المفتاحية: علم العربية، النحو، البنى، التحليل التركيبي.

Abstract:

This paper investigates the Scientific Cognitive Dimension in Arabic Linguistics of ABDERAHMENE EL HADJ SALAH. Most of his works about Arabic Linguistics are based on the concerted interdisciplinary of many cognitive fields, and the openness on other scientific, technological, medical, computational, electronic and mathematical specialties in the study of the language and decrypt its mysteries, in addition to the cognitive references related to “Ilm ALARABIA" "علم العربية" as identified by SEBAOUIAH and his mentor EL KHALIL BEN AHMED.

His works are also based on a system of notions, on a terminological device which distinguishes it from other systems and sets the limits of its cognitive map.

Key words: ilm al-arabiyya, syntax, grammar, syntaxic analysis.

Résumé:

Cet article essaye d'expliquer la dimension scientifique cognitive dans la linguistique arabe chez ABDERAHMENE EL HADJ SALAH, que tout son œuvre s'est basé sur l'interdisciplinarité concertée qui lie plusieurs champs de connaissance technologiques, médicales, informatiques, et génie électroniques et mathématiques dans l'étude de la langue et la compréhension de ses secrets, ainsi que les références cognitives liées à "علم العربية" comme l'a identifié: SEBAOUIH et son maitre: EL KHALIL BEN AHMED. Cet œuvrese base scientifiquement sur un système de notion, d'un appareil terminologique qui le différencie aux autres systèmes et dessine les frontières de sa carte cognitive.

Mots clés : ilm al-arabiyya, syntax, grammaire, analyse syntaxique.

1. مقدمة:

أسس دوسوسير اللسانيات البنوية الوصفية، وأسس تشومسكي اللسانيات التوليدية التحويلية، تجلى ذلك عند كل منهما في منظومة مفاهيمية، وجهاز اصطلاحي نظري يخصّه، وكان لذلك تأثيره الواضح في الدرس اللساني العربي الحديث، ظهر في اتجاهات عديدة منها: المتقوقع

على نفسه في بعض من التراث، ومنها المنقطع عن التراث، ومنها الذي ينتقي ما يناسبه لمسايرة هذا أو ذاك.

ونرى أن الأستاذ –رحمه الله- عبد الرحمن الحاج صالح، قد تميز بخطاب لساني نقدي واعٍ بالتراث، وبالحداثة في الآن نفسه. قرأهما بعين ثاقبة مؤسسة على معرفة باللغات الأجنبية، وباللغة العربية وفقه نواميسها، وبما يحمله من فكر رياضي، الأمر الذي مكنه من النظر الإبستمولوجي العميق للظاهرة اللغوية عند الغرب وعند العرب، والمقارنة العلمية بينهما، بتقديم الأدلة والبراهين والحجج الدامغة، وخير مثالٍ على ذلك رسالته في دكتوراه الدولة التي تبحث في علم اللسان العام وعلم اللسان العربي، وهو الهدف الذي رسمه لنفسه، واتخذه موضوعا منذ أن بدأ البحث في ميدان علوم اللسان، وقد تجلى ذلك أيضا في معظم ما كتبه من كتب ومقالاتٍ، وما أنجزه من مشاريع علمية، وهو العامل الذي يجعلنا نعده مؤسّسا حقيقيا للسانيات العربية رائداً في العالم العربي.

اخترت أن أخصص هذا البحث لدراسة البعد العلمي المعرفي في اللسانيات العربية عنده؛ فمعظم ما كتبه عن اللسانيات العربية يتأسس على منظومة مفاهيمية، وجهاز اصطلاحي نظري خاص به يميزه عن غيره، ويرسم حدود خريطته المعرفية. ويتأسس أيضا على الجمع بين حقول معرفية عديدة أو ما يسمى بتضافر التخصصات وتكامل المعارف في دراسة السيرورات المعقدة للمعرفة اللغوية وفهم أسرارها، فاللسانيات عند عبد الرحمن الحاج صالح تنفتح على تخصصات علمية تكنولوجية وطبية وحاسوبية وهندسية إلكترونية ورياضية... في دراسة الوظائف المعرفية المختلفة والبنيات الوظيفية للذهن/الدماغ بوصفه سندا أساسيا في تمثل المعرفة وإنتاجها.

بالإضافة إلى الخلفيات المعرفية المتعلقة بعلم العربية كما سمّاه سيبويه وأستاذه الخليل ومن جاء بعدهما من العلماء العرب الأجلاء.

2-دلائل البعد العلمي المعرفي في كتابات عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية:

نقصد بالبعد العلمي المعرفي ما تعلّق بالعلوم المعرفية Les sciences cognitives وهو حقل علمي جديد يجمع بين معارف وتخصصات علمية عديدة مثل: فلسفة اللغة وعلم النفس المعرفي واللسانيات والأنثروبولوجيا وعلوم الأعصاب والرياضيات والفيزياء والبيولوجيا وعلوم الحاسوب والذكاء الاصطناعي.

ويتخذ من التفكير المفهومي أرضية خصبة له. ينطلق منها في دراسة العقل الإنساني بوصف استعداداته وقدراته مثل: الاستدلال والإدراك والفهم والتحليل وجملة التصورات العقلية وفضاءاتها المتنوعة؛ ومنها النشاط اللغوي وكيفية اشتغاله بالنظر إلى النشاط الذهني للإنسان وتصوراته عن الأشياء، ورؤيته للعالم، وما يمكّنه من التلاؤم مع محيطه.

يتمثل كل ذلك في اللغة بوصفها خصيصة إنسانية مركبة معقدة، لها خصوصياتها في تكوين التصورات النظرية عن اللغة في حد ذاتها، وعن الكلام وعن اشتغال عملية الفهم مثلا، التي تعد نشاطا ذهنيا في أساسها، وعن المعرفة كيف تتكون وكذلك التعلّم.

وتعد اللسانيات، من هذه الناحية مثالا لتضافر التخصصات وتكاملها وتآزرها وتداخلها في دراسة اللغة من جوانب عديدة منها البعد المعرفي La dimension cognitive الذي يعد هو أيضا توسيعاً وتطويراً للسانيات.

يلاحظ القارئ -في هذا المقام- لكتابات عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية حضور البعد العلمي المعرفي فيها بوضوح، وذلك من خلال العوامل الآتية.

1-2-تضافر التخصّصات L'interdisciplinarité:

يعد هذا المفهوم مفهوما نوعيا في العلوم المعرفية، وأساسا من الأسس التي قامت عليها؛ فالمعرفة يبنى بعضها على بعض، وتتبادل فيما بينها الأخذ والعطاء، وتحقق الانتفاع والجدوى منها. ولذلك تكون الحاجة إلى الاستعانة بعلوم أخرى أصلية أو فرعية لها علاقة بالتخصص.

فليس يمكننا –كما قال ابن سينا- في تعلّم العلوم كلها أن نتحرر من مصادرةٍ على مقدمات تتبين في علوم أخرى «فإن مبادئ العلوم وخصوصاً الجزئية تتصرف إما من علوم جزئية غيرها، أو من العلم الكلي الذي يسمى فلسفة أولى، فليس يمكن أن يبرهن على مبادئ العلوم من العلوم نفسها»[1].

يستعمل الإنسان اللغة للتعبير عن أغراضه وتبليغ مقاصده، والاحتجاج لآرائه والبرهنة عليها.

والهدف من كل ذلك تحقيق التواصل مع غيره بكفاية وفاعلية، وهو في ذلك يطوع جهازه اللغوي ليجعله مرناً يمتد نحو وظائف متعددة تتعلّق بقدرته على صياغة معرفة منظمة تتعلق برؤيته للعالم من حوله، ويعد الإدراك في ذلك وسيطا مهما[2].

وإذا عدنا إلى الكتابات اللسانية لعبد الرحمن الحاج صالح فيما يخص تضافر التخصصات وتكاملها وتلاقحها في دراسة الظاهرة اللغوية، مما نراه يندرج ضمن العلوم المعرفية، فإننا نجده واضحا جليا في كثير من الأبحاث والدراسات والندوات العلمية والمجلات العلمية المتخصصة. وذلك في الفترة الممتدة من 1964 إلى 2005، وقد طبع ذلك في مجلدين اثنين[3]، تناول فيهما جملة من القضايا نذكر منها على سبيل التمثيل[4]:

- الدراسات والبحوث الخاصة بعلم العربية وعلاقتها باللسانيات الحديثة وتكنولوجيا اللغة.
- في قضايا اللغة العربية ووسائل ترقيتها.

1 ابن سينا، عيون الحكمة، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، القاهرة، ص 17. وينظر أيضا: عبد السلام المسدي، في العلم اللغوي، الدار التونسية للنشر، ط1، 1994، ص 111-112.

.2. ينظر: حافظ إسماعيلي علوي وأمحمد الملاخ، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 2008، ص 28.

.3. بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزء 1و2، منشورات المجمع اللغوي الجزائري، بحوث ودراسات في علوم اللسان، 2007.

4 . ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزء الأول، 2007، ص 437 وما بعدها.

- النظرية الخليلية الحديثة.
- قضايا الترجمة والمصطلح.

تعد هذه قضايا كبرى، وكل قضية منها تندرج تحتها قضايا أخرى صغرى، تناولها الحاج صالح بالدراسة والتحليل.

واللافت للنظر في هذه الدراسات والأبحاث معالجتها لقضايا متعلقة بميادين لها قيمتها في البحث العلمي بصفة عامة والبحث اللساني واللغة العربية بصفة خاصة، من ذلك مثلا:

العلاج الآلي للنصوص العربية على الحاسوب، الأمر الذي يستلزم توسيع دائرة الاهتمام بالبحوث التي تخص اللسانيات الحاسوبية وما يترتب على ذلك من وضع للبرمجيات اللغوية، واصطناع الكلام المنطوق الآلي، ومعالجة أمراض الكلام، ومدى ما ينجر من فائدة على علم تدريس اللغات La didactique des langues وعلى دراسة اللغة العربية وسبل ترقيتها في مجالات حيوية متنوعة.

يتعلق كل هذا بما سمّاه عبد الرحمن الحاج صالح النظرية الخليلية الحديثة في دراسة الظاهرة اللغوية دراسة علمية، تتفاعل فيها تخصصات علمية متنوعة؛ فإلى جانب اللسانيات يوجد الإعلام الآلي أو اللسانيات الحاسوبية، وعلم أمراض الكلام وكيفية معالجته، وعلم تدريس اللغات... وهي ميادين وتخصصات تحتاج إلى الترجمة والمصطلح والصناعة المعجمية، والمعرفة الكافية بعلم العربية ونظامه المنطقي، وما وصلت إليه الأبحاث الحديثة في علوم اللسان وتكنولوجيا اللغة. يقول عبد الرحمن الحاج صالح في هذا الشّأن:

«فدراسة منطق اللغة في الحقيقة غاية علوم اللسان بجميع فروعها: النحو العلمي والصوتيات ودلالة الألفاظ والبلاغة... إلخ.

وأما دراسة منطق هذه العلوم بالذات فهي دراسة نظرية المعرفة العلمية بهذه العلوم؛ أي إبستمولوجيتها...»[5].

5 . عبد الرحمن الحاج صالح، منطق النحو العربي والعلاج الحاسوبي للغات في كتاب: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزء الأول، ص 316.

ثـم يُبـرز العلاقـة الموجـودة بـين المنطقـين؛ فالحـدود والأشـكال والاستدلالات هي وسائل عقلية لها تأثيرها العميق في نوعية التصور الذي يصل إليه الباحث بتوظيفه لهذه الوسائل.

ولهذا قيمتـه الجليلـة فـي العلاج الآلـي للغـة؛ فالنظريـة اللغويـة التـي يؤسس عليها الدارس برامجه الحاسوبية قد تكون قاصرة لقصر الوسائل العقلية المستعملة لضعف قدرتها الاستكشافية (مثل: منطق أرسطو، ومنطق النحو العربي التقليدي غير الذي أبدعه النحاة الأولون، واللسانيات البنوية الغربية)[6].

يتجلى مبدأ تضافر التخصصات لدى الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح –رحمه الله- بالإضافة إلى كتاباته، في المشاريع التي أسسها ودافع عنها وعمل قصارى جهده على تنفيذها ومنها:

2-1-1-معهد العلوم اللسانية والصوتية:

وقد أنشئ ببن عكنون وتحول بعد ذلك إلى بوزريعة بتسمية: مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية. وقد جهزه بأحدث الأجهزة العلمية آنذاك، المتعلقة بالمعامل الصوتية والحاسوبية لدراسة اللغة العربية من الناحية اللسانية في مستوياتها الصوتية والصرفية والمعجمية والنحوية، وأسس لذلك فرق بحث متخصصة تجمع بين المتخصصين في اللسانيات واللغة العربية، والمهندسين في الحاسوب، والأطباء المتخصصين في أمراض الكلام، والمتخصصين في الرياضيات والفيزياء والإلكترونيك، وإجادة اللغات الأجنبية: الإنجليزية والفرنسية بصفة خاصة.

ويعد هذا من صميم العلوم المعرفية في بعدها العلمي الصارم الذي يحتاج إلى باحثين أكْفاء، عمل الحاج صالح على تحقيقه منذ بداية السبعينات.

2-1-2-مشروع الذخيرة اللغوية العربية[7]:

6 . ينظر: المرجع نفسه، ص 317/316.
7 . ينظر: بشير إبرير، الذخيرة العربية، مشروع علمي حضاري، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 4، 2006، ص 35 وما بعدها.

وهو مشروع علمي حضاري، يتأسس على إدراك الأسس العلمية والمعرفية للمشروع المقترح، وتوقع آفاقه المستقبلية، وفوائده الجمة على البحث العلمي باللغة العربية من نواحي كثيرة.

يعرف الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح الذخيرة العربية بأنها: «بنك آلي من النصوص، وهي ليست مجرد مدونة أدخلت في ذاكرة الحاسوب، وهي ليست CDROM كما يقولون، بل مجموعة من النصوص أدمجت على الطريقة الحاسوبية، حتى يتمكن الحاسوب من مسحها كاملة، أو جزئيا، ولها عدد من البرامج الحاسوبية وضعت خصيصا لإلقاء أنواع خاصة وكثيرة من الأسئلة على الذخيرة»[8].

هكذا يفكر هذا العالم الذخيرة في الذخيرة وينظر من خلالها إلى اللغة على أنها:

- منظومة علمية واجتماعية وتربوية واقتصادية، لها علاقة بمنظومات المجتمع المتعددة في ميادين كثيرة تؤدي فيها المعرفة الحاسوبية دورا فاعلا من خلال هندسة الذكاء الاصطناعي.

- النظر إلى الذخيرة اللغوية في إطار تكامل المعارف وتضافر التخصصات، والجمع بين المعرفة اللغوية والأدبية والمعرفة العلمية؛ مما يبين سعة النظر إلى العلم والمعرفة بصفة عامة، والنظر إلى اللغة بصفة خاصة.

- النظر إلى الذخيرة العربية في علاقتها بالمعرفة اللسانية؛ فقد أسس الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح هذا المشروع على معطيات لسانية نابعة من النظرية الخليلية الحديثة في الوصف والتحليل والبحث، من خلال جهاز اصطلاحي ومفهومي خاص بها مثل: الأصل والفرع، والباب والمثال، والوضع والاستعمال واللفظة والعلامة العدمية... إلخ

8 . عبد الرحمن الحاج صالح، مشروع الذخيرة اللغوية العربية، مجلة المجمع اللغوي الجزائري، عدد2، ديسمبر 2005، ص 287.

- التركيز على المخزون التراثي والاستعمالي الذي تبرزه النصوص المكتوبة في مصادرها الأصلية، وعلى المنجز الحداثي الذي تبرزه النصوص المعاصرة.

- التركيز على النظر الإبستمولوجي: للعلوم والمعارف وإدراك السياقات المعرفية والفكرية والبيئات الثقافية التي نشأت فيها المفاهيم والمصطلحات والنظريات العلمية، وترابطاتها المنطقية[9].

يكون الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح بهذا التصور العلمي المعرفي لمشروع الذخيرة قد كان يهدف إلى جعل الذخيرة مصدراً معلوماتيا معرفيا محوسباً، بتحويل النصوص والأشكال والأصوات لتصبح قابلة للمعالجة الآلية وترميزها، وتهيئة وثائق المحتوى لعملية تبادله بواسطة الأنترنيت باستخدام رموز خاصة مع التشكيل الآلي للنصوص تحاشيا لحالات اللبس، وإعرابها آليا؛ لأن ذلك شرط أساسي في التحليل العميق لمحتواها المبني على تحليل بنيتها التركيبية، وكذلك ترقيم النصوص العربية آليا لكشف البنية السردية للجمل والمقولات النحوية وتحديد فواصلها[10].

تعد الذخيرة العربية مثالا حيا لتضافر المعارف والتخصصات وتقاطعها وتجاورها في مفاصل عديدة؛ في مقاربتها لموضوع واحد، فهي تجمع بين المعجمية أو علم المعجمات Lexicologie وهو فرع من فروع اللسانيات التطبيقية، يبحث في الجانب التطبيقي العلمي للغة واستعمالاتها المختلفة، ويعد المعجمي واحداً من علماء اللسانيات التطبيقية[11].

9 . ينظر: بشير إبرير، الذخيرة العربية، مشروع علمي حضاري، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 4، 2006، ص 43/42.
10 . للمزيد من التفاصيل المفيدة في هذا المقام، ينظر: نبيل علي ونادية حجازي، الفجوة الرقمية، رؤية عربية لمجتمع المعرفة، عالم المعرفة، رقم 318، الكويت، 2005، ص 135/134 وما بعدهما.
11 . ينظر: أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 1998، ص 31.

وبين الصناعة المعجمية Lexicographie بالبحث في أنواع المعاجم ومكوّناتها وطرائق وضعها وإعدادها[12].

وبين علم المصطلح Terminologie: فيما يتعلق بدراسة الألفاظ الخاصة بالعلوم وجمعها وتصنيفها وتحليلها ووضع بعض الكلمات أو الألفاظ إن اقتضى المقام ذلك[13].

لقد كان للحاج صالح نظر معرفي عميق بالتخطيط اللغوي Planification linguistique وبالإجراءات العلمية والمنهجية والأبعاد الاستراتيجية والاستشرافية التي من خلالا يستطيع المخطط اللغوي استبصار الحلول المختلفة للمشكلات اللغوية في علاقاتها المختلفة. ولقد استبصر الحاج صالح مشكلات اللغة العربية بكفاية ودراية بمشروع الذخيرة العربية.

2-2-الاشتغال بالمفاهيم:

من يقرأ كتابات عبد الرحمن الحاج صالح يجد الرجل له قدرة عجيبة في هذا المجال؛ فهو يشتغل على المفاهيم بالمفاهيم، بنظر منهجي عميق لها وللمصطلحات المعبرة عنها. فهو يرجع بها إلى سياقاتها اللغوية التي قيلت فيها بتتبّع الأمثلة المتعددة داخل النسيج اللغوي الخاص ومعرفة موضعها من السياق، وتتبّع ترتيبها التاريخي متى قيلت؟ وكيف قيلت؟ ولماذا قيلت؟ ومن قالها أول مرة؟ وماذا يقصد بها؟

دون أن يغفل في كل ذلك، الكلام عن المقام الذي قيلت فيه ومجمل الظروف والسياقات المعرفية والفكرية التي تشكلت فيها المفاهيم، ووضعت لها المصطلحات الدّالة عليها.

ويعد هذا نظراً معرفيا عميقا للظاهرة اللغوية كيف نشأت وترعرعت في بيئتها العربية الأصلية الخالصة، وكيف استوت على سوقها

12 . ينظر: محمود فهمي حجازي، البحث اللغوي، مكتبة غريب، القاهرة، ص 199.
13 . ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، الترجمة والمصطلح العربي ومشاكله، ضمن كتابه: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزء الأول، منشورات المجمع اللغوي الجزائري، 2007، ص 374.

وأتت أكلها، وعبّرت عن مقصودها حقيقة. مع مقارنتها لما جاء به علماء اللسان الغربيون، بوعي نقدي موضوعي.

فإذا تحدث عبد الرحمن الحاج صالح عن "وليم فون هومبولت" و"وايتني" و"بلومفيلد" و"هاريس" و"دوسوسير" و"تشومسكي، تحدث حديث العارف المتمكن بما جاء به هؤلاء العلماء، ووضعه في مكانه وأحله محله العلمي الصحيح.

وإذا تحدث عن الخليل بن أحمد وسيبويه والجاحظ وابن جني والمبرد والرماني وعبد القاهر الجرجاني وابن خلدون... تحدث أيضا حديث العارف المتمكن القارئ الجاد للتراث اللغوي العربي ومعرفته به في مصادره ومضانه الأساسية، وقراءته قراءة عميقة أسس من خلالها للسانيات عربية حقيقة لا مجازاً، مقدما الدليل والبرهان والحجة المؤكدة على ذلك.

ويبدو لي أنه أوّل من استعمل مصطلح "لسانيات عربية" ووعى مفهومه وبرهن على وجوده وعمل على تحقيقه وتطويره بدءا برسالته في دكتوراه الدولة عن علم اللسان العام وعلم اللسان العربي وهي عمل ضخم في جزءين باللغة الفرنسية، تدل على عالم متبحر في علوم اللسان عند العرب والغرب في آن واحد.

إنّ الحاج صالح –رحمه الله- فقيه بالتراث وبالمفهوم والمصطلح، وبالمنجز اللساني الغربي.

وإن الاشتغال بالمفاهيم وبكيفية تشكّلها هي مسألة أساسية في النظر المعرفي والإبستمولوجي لدى عبد الرحمن الحاج صالح، فقد عمل على معرفة الأسس المعرفية المتنوعة للمفاهيم ومصطلحاتها الواصفة في اللسانيات العربية وفي اللسانيات الغربية على حد سواء.

وذلك لأنه متجذر في اللغة العربية، ومتحكم في اللغات الأجنبية: الإنجليزية والفرنسية بخاصة.

إضافة إلى أصالته وغيرته على التراث اللغوي العربي الذي تجلى في كتابات العلماء العرب الأجلاء. وقد انتصر لهم بموضوعية علمية

واضحة[14]. وإنما الرجل قد وعى وعيا عميقا منطق العرب في علوم اللسان[15] والوسائل العقلية التي اعتمد عليها النحاة العرب الأولون في دراستهم للغة وتحليلها واستنباطهم لضوابطها من ذلك هذه الأمثلة:

1-التعرّف على المعنى أو التعريف المفهومي:

فقد عرّفه بقوله: «إن التعريف الموضوعي للمفهوم يخضع لأصول معينة؛ فهو مجموع الصفات التي يتميز بها عن غيره، فلا بد إذن، من الاعتداد بها في تعريفه...»[16].

فبناء على معرفة الصفات المرتبطة بالمفهوم والمميزة له عن غيره يتم إدراكه، ومن ثمة تسهل عملية التصنيف.

فسيبويه مثلا -كما أورد الحاج صالح-[17]في تصنيفه للأسماء قد انطلق من هذه المعطيات النظرية المتعلقة بالتعريف المفهومي أو التعريف على المعنى، وأدرك بذلك مراتب اللغة العربية بالنظر إلى التعريف على المعنى وبالنظر إلى التعريف على اللفظ.

14 . يرى بعض الدارسين أن الحاج صالح ينتصر للتراث بغثه وسمينه، وهو بذلك تقليدي لا يملك نظرة تجديدية، ولكن هذا غير صحيح، وهم مخطئون في وصفهم له بذلك؛ لأنهم ببساطة لم يقرأوا التراث ولم يقرأوا ما يدّعون أنه حداثة.

15 . هذا عنوان كتاب للحاج صالح، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، 2010، ط1، والكتاب جدير بالقراءة.

16 . المرجع نفسه، ص 115.

17 . ينظر: المرجع نفسه، ص 120/113.

وقد لخص ذلك الحاج صالح في الرسم الآتي[18]:

أصناف الأسماء عند سيبويه

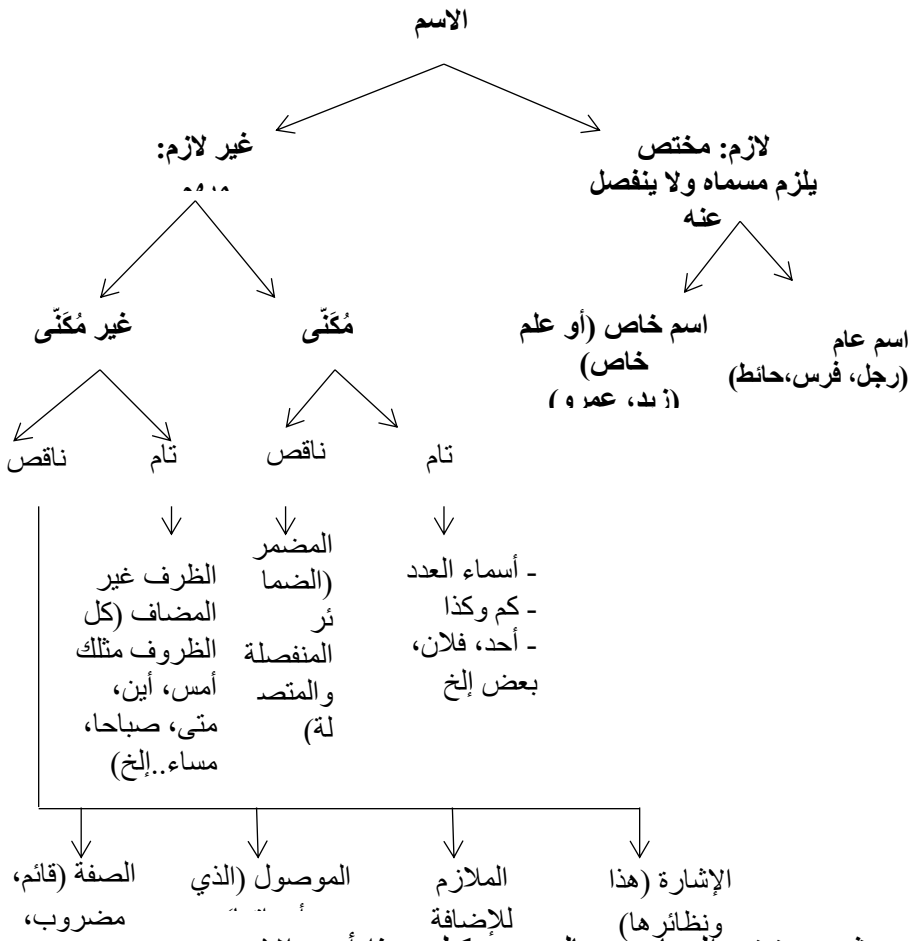

ثم يستنتج الحاج صالح من كل هذا أن «الاسم عند سيبويه هو: "علامة تقع على شيء ليعرف بها، إما هو بعينه (كالعلم والمحلّى بـ "أل" وغيرهما)، وإمّا كواحد من سائر أمته (كاسم الجنس)". فهذا تعريف دقيق؛ لأنه يبين أن الاسم يدل على الفئة والجنس في اللغة وهو الأمة خاصة عند سيبويه، وعلى فرد من هذا الجنس في الكلام معينا تارة وغير معين تارة أخرى، فهذا التعريف على المعنى بهذا اللفظ، وهذا الأسلوب لا يوجد ما

18 . المرجع نفسه، ص 120.

يماثله لا في المنطق ولا في كتب النحو غير العربية ولا عند العرب المتأخرين»[19].

هكذا يقول الحاج صالح محتجا لخطابه بتقديم الدليل العلمي الوجيه الذي يثبت أصالة العلماء العرب الأولين، ملاحظا أنّ اهتمامهم كان منصبا على الوظيفة أو الدور الذي تؤدّيه الوحدة اللغوية في واقع الخطاب لا في حدّ ذاتها، ولم يتناسوا –مقابل ذلك- أن للخطاب بنية؛ بمعنى أنهم يراعون أيضا الوحدة اللغوية من التركيب.

فكما يوجد التعريف على المعنى أو التعريف المفهومي، يوجد التعريف على اللفظ، أو الحد النحوي، ويتأسس على معنى: البناء والمجرى والحد[20]. وهي عناصر أساسية في النظرية اللغوية العربية.

يورد الحاج صالح في هذا الشأن، جملة من الأقوال لسيبويه تضمنت مفهوم الحد ومنها[21]:

- «ألا ترى أن حد الكلام أن تؤخر الفعل فتقول: "أيّهم رأيت"» 64/1.
- «وجه الكلام وحده الجر، لأنه ليس موضعا للتنوين.» 87/1.
- «فهو على ذلك الحد متمكن... وفي هذه الحال متمكن» 119/1.
- «وعلى هذه الطريقة فاجرِ هذا النحو.» 273/2.
- «وليس ذا طريقة يجرين عليها في هذا الكلام.» 194/2.

فالملاحظ لهذه الأمثلة التي قدمها الحاج صالح من كتاب سيبويه يجد مفهوم الحد مع مفاهيم أخرى هي: الوجه والحد والطريقة وهي تخص الكلام من حيث اللفظ، فيكون الحد، بذلك، وجها من أوجه الكلام وحالا من

19 . المرجع نفسه، ص 120.
20 . المرجع نفسه، ص 119 وما بعدها.
21 . المرجع نفسه، ص 121.

أحواله تنتجه طريقة محددة أو إجراء الناطيقن له في واقع الخطاب. فهو كما قال الحاج صالح: «نمط من الإجراءات التي تفضي إلى نتيجة، وهي النحو أو الضرب من الكلام الذي يحده الحد، وفي نفس الوقت هذا النمط من الكلام بعينه»[22].

بناء على هذا فإن الحد يرتبط بتعريف الإجراءات المتحكمة في صياغة ضروب الكلام وإجرائها مجراها أو مجاريها اللازمة التي تخصها على مستوى البنية اللغوية. فلكل حد إجراءات تخصه.

يقول عبد الرحمن الحاج صالح في هذا المقام: «... فالحد عند النحاة الأولين لا يحدد المعاني والمفاهيم بل يختص بضبط الإجراءات أو العمليات التي تتولد منها العبارات ولا يكون للحد عند سيبويه ومعاصريه أية وظيفة أخرى إلا هذا التحديد الضابط الإجرائي.»[23] ، ولقد أقام سيبويه عملا تحليليا علميا موضوعيا لمجاري كلام العرب كما ورد على ألسنتهم وجمعه العلماء قبله وفي زمانه؛ فوصف هذه المجاري وصنفها وفسّرها، وحاول ضبطها بضوابط علمية دقيقة، ميّز فيها بين الجانب الاستعمالي والاجتماعي؛ أي اللغة بوصفها ظاهرة، وبين الجانب المتعلق بتوليد الوحدات اللغوية المتعلق بالحدود وهي ضوابط العربية[24].

2-القياس الفقهي والقياس النحوي:

يقيم الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح المقارنة بين هذين النوعين من القياس: الفقهي والنحوي من حيث المفهوم والغرض والأصل والمعنى لأهمية ذلك عند علماء الأصول في الفقه والنحو. باحثا في الأسس المعرفية للقياس، مستخلصا مميزات القياس العربي المختلفة عن السلوجسموس الذي بني كله على علاقة اندراج شيء في شيء. وهو بعيد عن القياس العربي في الفقه والنحو على حد سواء, ففي القياس الفقهي تثبت الموافقة إذا ثبت أن الفرع كان في معنى الأصل فيحكم بحكمه؛ أي قياس الفروع على الأصول.

22 . المرجع نفسه، ص 121.
23 . المرجع نفسه، ص 122.
24 . ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، البنى النحوية العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، سلسلة علوم اللسان عند العرب، 4، ط1، 2016، ص 4/3.

وأما القياس النحوي فتخص الموافقة اللغة فتثبت الموافقة بثبوت التكافؤ بين أفراد الفئة اللغوية من حيث المجرى أو البنية[25].

لقد أورد الحاج صالح كثيرا من اللطائف في كتابه بمنطق العرب في علوم اللسان جديرة بأن يطلع عليها القارئ الباحث المتخصص ليفهمها ويعرف كنهها ويكتشف كثيرا من أسرارها المخبوءة.

ويعد القياس مفهوما من المفاهيم المفاتيح في أصول الفقه وأصول النحو، لفهم أسرار اللغة العربية والنظرية النحوية بصفة خاصة. إن الفقيه في النحو هو في الأصل فقيه في الفقه، وأن الفقهاء في الحقيقة هم نحاة.

3-تحديده لمفهوم الفصاحة:

خصص الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح كتاباً مستقلا لتحديد مفهوم الفصاحة رابطا إياه بالسماع اللغوي عند العرب، وهو مفهوم أساس في بناء النظرية اللغوية العربية وجمع مدونتها الضخمة.

فقد تناول مفهوم الفصاحة مُصطلحا نحويا لغويا، متتبعا تطور مدلوله عند اللغويين في القرن الثالث الهجري وما بعده، مبيناً معنى اللغة الفصيحة، واللغة الجيدة أو العالية عند العلماء في القرن الثالث من الهجرة، مستقرئا تحول العربي الفصيح، موضحا المفهوم الوضعي للفصاحة، وتطوره عند البلاغيين، وكيف فهم كلام الجاحظ في الفصاحة والبلاغة في القرن الرابع الهجري، مستخلصاً حقيقة مقياس الفصاحة اللغوية وقيمة ذلك من الناحية العلمية، مركزا على المقاييس المكانية والزمانية للفصاحة السليقية، منبّها على أن الفصاحة لم تكن مقصورة في القرنين الأول والثاني على أهل البدو، ولا على القدامى من العرب، ولا على الأعراب الأقحاح الخلص، مشيرا إلى الشعراء الأوائل، وأقدم ما وصلنا من الشعر بالعربية الفصيحة ابتداء من زمن المهلهل، مستنتجا بعد كل ذلك المقاييس الصورية

25 . المرجع نفسه، ص 337.

اللسانية للفصاحة. وقد وضح الأستاذ المجال المفهومي للفصاحة بواسطة الرسم الآتي[26]:

26 . ينظر: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، 2007، ص58.

المجال المفهومي للفصاحة

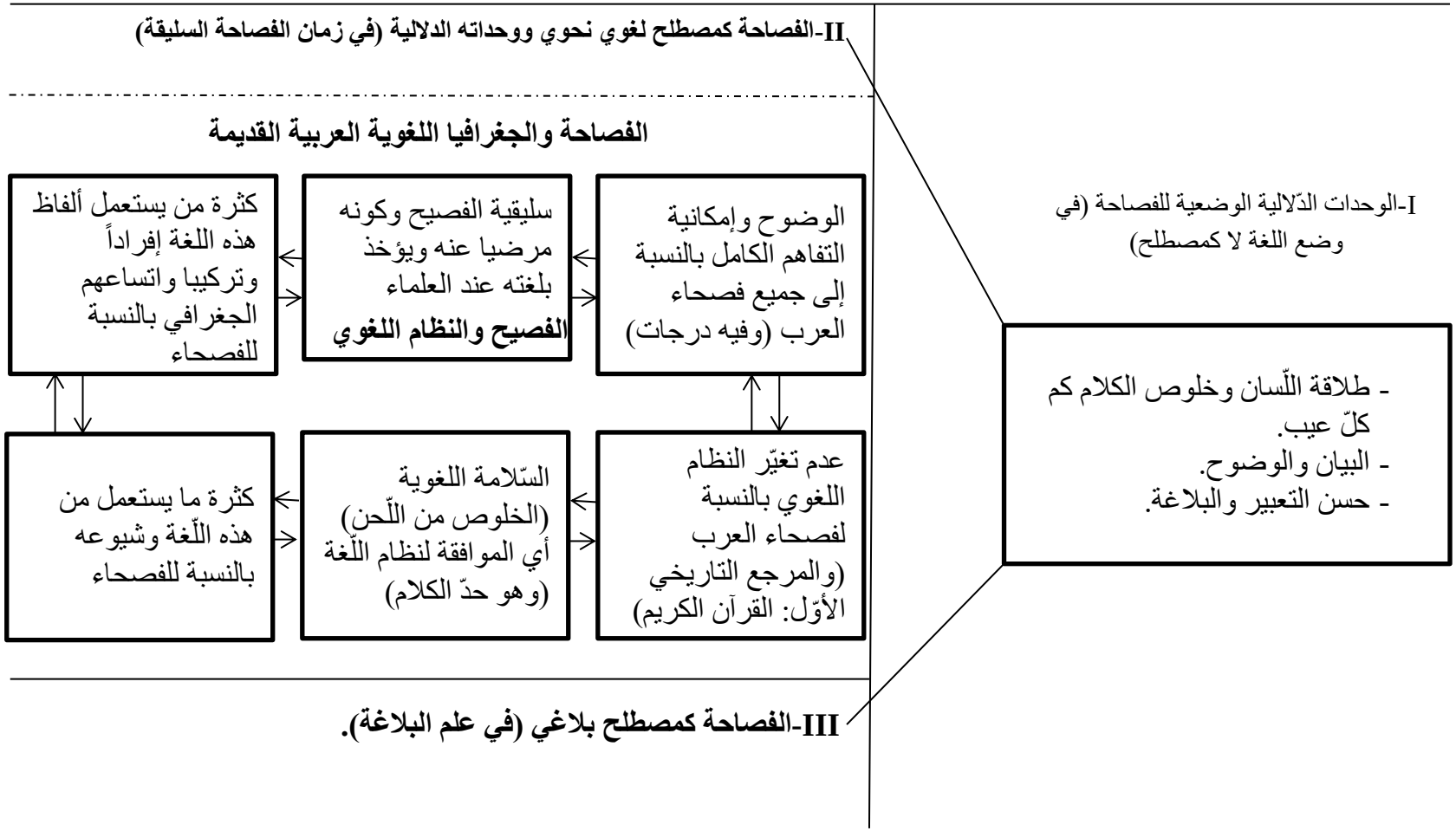

يُعد مفهوم الفصاحة مفهوما مفتاحاً في بناء النظرية اللغوية العربية وفهم أسرارها، ومستوياتها وضعا واستعمالا. يقول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح: «... ونعتبر هذه اللفظة والمفهوم الذي تدل عليه بالمفتاح الذي سيفتح لنا أبوابا كثيرة فيما يخص المفاهيم العلمية الخاصة بتصور العرب للعربية ولعلوم اللسان عامة»27.

شأنه شأن السماع اللغوي وهما مرتبطان بعضهما ببعض. فهما مفهوما لغويان ولكن لهما خلفيات وأسس اجتماعية مما يمكن أن ندرجه في زماننا تحت مسمى اللسانيات الاجتماعية La Sociolinguistique.

وظّف الحاج صالح في تحديده لمفهوم الفصاحة والسماع وما اقتضياه من نظر علمي ووعي إبستمولوجي، كلا من سيبويه بـ 96 مرة، وأبي عمرو بن العلاء 65 مرة، والأصمعي بـ 54 مرة، والجاحظ بـ 28 مرة. وغيرهم من العلماء الأجلاء الذي وَعَوْا النظرية اللغوية العربية في أسسها المعرفية ومفاهيمها العلمية، وممارستها التطبيقية العملية، وَوَعَوْها في مستواها الوضعي البنوي ومقتضياته المتنوعة، وفي مستواها الاستعمالي الخطابي ومقتضياته المتعددة. وكل هؤلاء من علماء القرن الثاني والثالث الهجريين، يمثلون أصالة النظرية اللغوية العربية.

ووعاه أيضا الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وعيا علميا معرفيا ومنهجيا وممارسة تطبيقية، وعمل على تقديمه للأجيال.

4-كتابة الأسماء والمصطلحات العربية باللغة الأجنبية:

تمثل هذه المسألة اختيارا منهجيا من لدن الحاج صالح؛ لأنّ له هدفاً رسمه لنفسه من زمان بعيد، منذ أن بدأ ممارسة البحث العلمي، وهو التعريف بالعلم اللغوي العربي الأصيل، ونقله إلى الآخر؛ الدارس الغربي الذي لا يعرف العربية وتراثها العلمي الضخم وبخاصة في القرون الأربعة

27 . المرجع السابق، ص 28.

الأولى من الهجرة، ومن ثمة التأسيس الحقيقي للسانيات عربية لها أسسها المعرفية ومفاهيمها العلمية وممارساتها وإجراءاتها العملية. ولذلك راح يشرح المفاهيم ويوضح الأسس ويعرّف بالعلماء باللغة الأجنبية، فاتخذ من الكتابة الصوتية العالمية وسيلة لجعل القارئ الأجنبي يقرأها بلغته كما تنطق باللغة العربية، من ذلك هذه الأمثلة 28:

«On peut prononcer un phonème isolément mais suivi d'un autre phonème car la continuité [sonore] est en matière de langage.»

يعلّق الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح قائلا: أنّ هذه الحقيقة معروفة منذ القرن الرابع الهجري، ويورد قول علي بن عيسى الرماني:

«أقل ما ينطق به وهو الحرف الواحد»

an yuṅṭaqa bihî… wa-huwa '«aqallu ma yumkinu L-ḥärfu L-wahid».

ويورد أيضا قول المبرد مكتوبا هكذا:

«Là yağùzu Li ḥarfin an yanfasila bi-nafsihi Li-annahü mustahil»

«لا يجوز لحرف أن ينفصل بنفسه لأنه مستحيل.»

ويتحدث عن الحركة:

---

28 . ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح،

La notion de syllabe et la théorie cinetico-impulusionnelle des phonéticiens Arabes.

وفي كتاب: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 1و2. ويعد هذا البحث أساسيا في البحث الصوتي

«... La ḥaraka permet au ḥarf de se produire (tumakkinuhu min iḫrâğa L-ḥarf)»[29]

«تمكّنه من إخراج الحرف».

«La ḥaraka est une cause nécessaire à la production du ḥarf»[30]

ولابد من الإشارة إلى بحثه الموسوم بـ: «Linguistique et phonétique Arabe» [31]

فهو بحث مهم -في هذاالمقام- في التعريف بالنظرية اللغوية العربية عند العلماء العرب القدامى، والعمل على نقلها إلى الآخر، بغية تصديرها بوصفها معرفة علمية أصيلة دقيقة لها تميّز، ولها سبق علمي في الكثير من الأحيان. وهذا هدف سامٍ نبيل من لدن عبد الرحمن الحاج صالح، ورؤيا علمية تحمل مشروعا حضاريا له أبعاده المعرفية الجليلة.

يجد القارئ لهذا البحث أنّ الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وبعد أن فصّل في مختلف القضايا العلمية المتعلقة بالتراث اللغوي العربي في مستوياته المتنوعة، خصّص ملحقاً [32]، من ثمانية وعشرين صفحة للمفاهيم العلمية العربية وشرحها وتحليلها من ذلك مثلا المفاهيم الآتية:

29 . المرجع السابق، ص 5.
30 . المرجع نفسه، ص 5.
31 . نشره بالإنجليزية في مجلة: Applied Arabic Linguistics and Signal and Information Processing. وقد ضمنه كتابه: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، من ص 69 إلى ص 138 بالفرنسية.
32 . من الصفحة 121 إلى الصفحة 136، شمل أكثر من مائتين وعشرين مفهوماً، ويصلح أن يكون هذا في حد ذاته دراسة مستقلة.

أصل: 3333 AṢL

أوضاع اللغة: 34 AWÃḌ ‘ AL-LUĠA

باب: 35 BÃB

بيان: 36 BAYÃN

إدغام: 37 IDĠÃM

إدراج: 38 IDRÃĠ

لقد قدّم هذه المصطلحات كما تستعمل في العربية ويجريها الناطقون بالعربية في واقع الخطاب، ولذلك بعد معرفي مهم يتعلق بخصوصيات المفاهيم العربية ومصطلحاتها، فلعلّها تستعصي على الترجمة ولا يتم فهمها كما ينبغي لها أن تفهم، فاختار أن ينقلها بهذه الطريقة ليحافظ على حمولتها المعرفية في سياقاتها اللغوية ومقاماتها اللازمة.

وهذا الذي ينبغي أن نوظّف اللغات الأجنبية فيه ونستثمرها أيما استثمار، ويشكل مداخل للبحث العلمي الرصين في اللسانيات العربية، أو لسانيات العربية "La linguistique de la Arabiyya"39كما سمّاها الأستاذ الحاج صالح التي لا تنحصر في الشكل أو اللفظ الدال وإنما موضوعها يتمثل في الحديث وفي التحدّث في الوقت نفسه؛ أي دراسة الوضع اللغوي المتعلق بقوانين البنية اللغوية في واقع الاستعمال وإجراءاته المتعددة حسب المقام ومقتضياته.

---

33 . ينظر: المرجع نفسه، ص 121.
34 . ينظر: المرجع نفسه، ص 122.
35 . ينظر: المرجع نفسه، ص 122.
36 . ينظر: المرجع نفسه، ص 126.
37 . ينظر: المرجع نفسه، ص 126
38 . ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، المرجع السابق، ص 118.
39 . عنوان بحث للحاج صالح في مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، عدد 4، 2006.

لقد كان يهدف الحاج صالح إلى تحديث أصول البحث في التراث اللغوي العلمي العربي 40، بغية تخليصه من التخليط الذي اتصف به بعض الدارسين له من ذلك مثلا: تقسيم المصوتات إلى قصيرة وطويلة بالاعتماد على جانب واحد فقط وهو الجانب الصوتي الفيزيائي (الأكوستيكي) دون الالتفات إلى الجانب المُحْدِث للصوت ولتسلسل الأصوات ومن ثم مفهوم المقطع41.

ويقدّم جملة من الاقتراحات التي توصل إليها بعد قراءة علمية جادة للسانيات الغربية وللتراث اللغوي العربي، بغية تحقيق هدفه نذكر منها:

ضرورة الرجوع إلى ما قاله القائل نفسه؛ أي إلى نص قوله، دون الاكتفاء بالرواية عنه مع وجود نصه.

الرجوع إلى مصادر متعددة تنتمي كلها إلى عصر واحد، وليس منقولا بعضها عن بعض.

ضرورة التمييز بين المصادر وما وقع الإجماع على توثيقه.

تقديم النظر في النص الأصلي على التأويلات والشروح التي تناولته.

التصفح الكامل للنص مهما بلغ طوله.

الاعتداد المستمر بعامل الزمان والمكان في تحوّل التصور العلمي والمفاهيم والمصطلحات من عصر لآخر.

النظر في جميع النظريات اللسانية الحديثة نظراً نقديا موضوعيا.

هذه بعض الاقتراحات العامة وقد فصّل القول فيها الحاج صالح في جلّ كتاباته اللسانية.

---

40 . ينظر: المرجع نفسه، ص 11.
41 . ينظر: المرجع نفسه، ص 14 وما بعدها.

خلاصة:

محصول الحديث أن الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح يُعد المؤسس الحقيقي للسانيات العربية، وقد تجلى ذلك في أبحاثه ودراساته الكثيرة باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية، بيّن فيها باقتدار أصالة النظرية اللغوية العربية عند روّادها من العلماء الأوائل في القرون الأربعة الأولى من الهجرة، ووضّح خصوصياتها من حيث الأسس المعرفية التي أطرتها وشكلت منطلقاتها، ومن حيث منهجها في الوصف والاستقراء والتحليل والتصنيف، على مستوى الوضع والاستعمال.

وقد تجلى البعد العلمي المعرفي في كتابات عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية في نظرته للسانيات الحديثة، وفي نظرته للتراث اللغوي العلمي العربي الموسّعة، والمؤسَّسَة على مبدئين أساسيين في العلوم المعرفية هما:

مبدأ تضافر التخصصات، ومبدأ التفكير المفهومي، والقارئ لأعماله يجد هذين المبدئين من أهم الصفات المميزة لخطابه اللساني، إلى جانب جهازه الاصطلاحي في الوصف والتحليل.

المراجع:

- ابن سينا، عيون الحكمة، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، القاهرة.
- عبد السلام المسدي، في العلم اللغوي، الدار التونسية للنشر، ط1، 1994.
- حافظ إسماعيلي علوي وأمحمد الملاخ، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 2008.
- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزء 1و2، منشورات المجمع اللغوي الجزائري، بحوث ودراسات في علوم اللسان، 2007.
- عبد الرحمن الحاج صالح، منطق النحو العربي والعلاج الحاسوبي للغات في كتاب: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزء الأول، ص 316.
- ينظر: المرجع نفسه، ص 317/316.
- عبد الرحمن الحاج صالح، مشروع الذخيرة اللغوية العربية، مجلة المجمع اللغوي الجزائري، عدد2، ديسمبر 2005.
- بشير إبرير، الذخيرة العربية، مشروع علمي حضاري، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 4، 2006.
- أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 1998.
- محمود فهمي حجازي، البحث اللغوي، مكتبة غريب، القاهرة، 1999.
- عبد الرحمن الحاج صالح، الترجمة والمصطلح العربي ومشاكله، ضمن كتابه: بحوث ودراسات في اللسانيات

العربية، الجزء الأول، منشورات المجمع اللغوي الجزائري، 2007.
- عبد الرحمن الحاج صالح، البنى النحوية العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، سلسلة علوم اللسان عند العرب، 4، ط1، 2016.
- السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، 2007.